

يعيش ... ان المال يخفض جميع آلهة البشر ويجعلهم سلعا » وبالتالي فان اشتغال اليهود بالمال هو الذي يخلق ( المسألة اليهودية ) ، والحل الطبيعي لهذه المشكلة هو تغيير النظام الاجتماعي والغاء دور المال كقيمة عامة ومكونة في ذاتها لجميع الاشياء .

« والتنظيم الاجتماعي الذي يلغي الشروط الضرورية للمتاجرة وبالتالي يلغي امكانية المتاجرة سوف يجعل وجود اليهود مستحيلا » . ذلك ان « قومية اليهودي الوهمية هي قومية التاجر ، قومية رجل المال » (٤) .

وبعد كارل ماركس بحوالي مئة سنة ، وبالضبط عندما أخذت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ، قام البروفسور ويليام هوكنج ، أستاذ كرسي الفلسفة في جامعة هارفرد ، بارسال رسالة ( ٢٣ آذار ١٩٤٤ ) الى « نيويورك تايمز » جاء فيها : « ان الصهيونيين السياسيين هم الاعداء الرئيسيون لمصلحة اليهود في عالم الغد » . وتساءل : « ما الذي يأملون كسبه بانتشال اخوتهم من تحزبات أوربا عن طريق بناء مجتمع في فلسطين عليه ان يظل محتاجا لحماية القوى الغربية لانه مزروع في بيئة مقعمة بالخوف منه وعدم الثقة به ؟ » (٥) .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وعلى اثر تصاعد الاستقلال الصهيوني لمعانة بعض يهود أوربا على يد النازيين ، من جهة ، وانكشاف الجرائم الصهيونية ضد عرب فلسطين من جهة أخرى ، انبرى الفكر البريطاني أرنولد توينبي لتفنيد الفكرة الصهيونية واطهار التماثل في الموقف من اليهود بين الصهيونيين وبين النازيين واللاسامين ، ولعله ادق وأوضح من علاج هذه النقطة بالذات اذ اعتبر الصهيونية ( والاسامية ) متساويتين في نظرتها الى اليهود : « الصهيونية والعداء للسامية انما هما تعبيران عن وجهة نظر متماثلة ، والفكرتان تقومان على فرضية واحدة ، هي انه يستحيل على اليهود وغير اليهود التعايش في مجتمع واحد ، وبالتالي فان الانفصال المادي هو المخرج العملي الوحيد ، فثسعار العداء للسامية هو : « عودوا الى تشرذم القرون الوسطى » ، وثسعار الصهيونية هو « عودوا الى حجر ( غيتو ) القرون الوسطى » . على ان تجمع كل هذه الغيتو — القواقع — المنتشرة في العالم في بقعة واحدة من الارض هي فلسطين لخلق غيتو واحد راسخ الدعائم » (٦) .

ومن الواضح ان كارل ماركس الشيوعي الالماني ، والبروفسور هوكنجس الاميركي اللبرالي ، والمؤرخ أرنولد توينبي البريطاني المتدين ، يلتقون — على الرغم من تباعد الزمن وتباعد المنطلقات الفكرية — في نقاط أساسية بالنسبة لفهم الحل الصهيوني ( ا ) يسمى ( المسألة اليهودية ) ، وأهم هذه النقاط :

١ — ان « المسألة اليهودية » مشكلة مصنعة تنبثق من وضع اليهود في مجتمعات أوربية معينة ، وليس من وجود ( للقومية اليهودية ) المزعومة .

٢ — ان الحل الطبيعي لهذه المشكلة — متى وجدت — كامن في المجتمع الذي توجد فيه ، أي ( الاندماج لا الصهيونية ) .

٣ — أن الصهيونية تعني مزيدا من البؤس لليهود ، ومزيدا من تعريضهم للاخطار . ( وتنضج هذه الفكرة بشكل أفضل عند هوكنج وتوينبي نتيجة ادراكهما لطبيعة التجربة الصهيونية المعاصرة ) .

ان هذه الاقوال ليست الانماذج لفكر غربي وعى المشكلة جيدا . وقد كثرت هذه النماذج بعد الهزة الفكرية والنفسية التي ولدتها حرب تشرين الاول ١٩٧٣ في مستويات عالمية وصهيونية واسرائيلية ، ولناخذ نموذجا يهوديا خارج اسرائيل ، وآخر من داخلها :